الخطاب الحسيني في واقعة كربلاء سنة(٦١هـ/٦٨١م)
ودوره في نشر ثقافة حقوق الإنسان

د. خديجة حسن علي القصير

كلية الاداب/ جامعة الكوفة

khadi5527@gmail.com

ملخص البحث

الكلمة هي الوسيلة الأولى للاتصال والتواصل الإنساني، وهي أداة التخاطب بين الناس، سواء كان باللسان أو بالقلم، على مستوى الأسرة، والمجتمع، والأمة، والشعوب المختلفة في أقطارها العديدة، وأزمانها المديدة، وهي السمة الأساسية التي تجمع الناس، وتبني بينهم العلاقات الإنسانية في مجالات الحياة المختلفة.

والمقصود هنا ليست أي كلمة قد تقال وإنما الكلمات التي تكون ذات وقع وتأثير في المجتمعات وأهمها ذكراً هي كلمات وخطب الإمام الحسين عليه السلام التي ظلت إلى يومنا هذا تعيش في مجتمعاتنا وتؤثر التأثير الأعمق في كل جوانب حياتنا وبقيت شاخصة في الممارسات التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام والمثل العليا التي طرحها في واقعة الطف والتي بقيت شاخصة على مدى الأزمان، فعلى الرغم من إن مصطلح الحقوق لم يرد على نحو مباشر في يوم عاشوراء إلا أن المطلع على النصوص الواردة في خطب الإمام الحسين عليه السلام منذ خروجه من مكة لمواجهة يزيد بن معاوية وجلاوزته مرورا بخطبته عليه السلام في يوم عاشوراء ما هي إلا نصوص تحوي على العديد من المضامين والمفاهيم التي تدل على حقوق الإنسان وتحريم استعباده واستغلال حريته وضرورة الوقوف بوجه الطغاة وان كانوا حكاما إن كان الأمر يمسّ بحقوق الفرد ومصالحه وهذا ما سنحاول عرضه في هذا البحث.

The Husseini Discourse in the Incident of Karbala in the Year ٦١ AH (٦٨١ CE) and Its Role in Promoting Human Rights Culture

Dr. Khadija Hassan Ali Al-Qasir

University of Kufa

Khadi5537@gmail.com

Abstract

The word is the first means of human contact and communication . The communication between people , whether by a tongue or a pen at the level of family , society , nation and different peoples in different countries and times , is the basic feature that brings people together and promotes human relations between them in different areas of life What's meant here is not any word that might be said , but words that have great impact on societies and the most important ones are the words and sermons of Imam Hussein peace be upon him which has to this day lived in our societies and has affected different aspects of our lives . These words remained prominent in the practices he has carried out , peace be upon him , and the high ideals he has presented in Altaf battle and remained noticeable all the time . Although the term " rights " hasn't been directly mentioned in the day of Ashura , but anyone who has come across those texts of Imam Hussein's speeches , since the day he left Mecca to wage holy war against Yazid Ibn Muawiya to his speeches on the day of Ashura , will find them containing many implications and concepts that refer to human rights and the prohibition of enslavement and the exploitation of human freedom . They also denote the necessity of standing up against tyrannical rulers when it comes to harming the rights and interests of individuals . That's what will be discussed in this research .

keywords: Husseini Discourse, karbala,promotinu.

المقدمة

وجدت فكرة حقوق الإنسان منذ بداية وجود الإنسان بحد ذاته وعيشه مع بني جنسه في مجموعات بشرية تطبق بعض القوانين العرفية التي تحمي بعضهم وليس كل حقوق الإنسان، وتدافع عن كرامته من اجل المعيشة بسعادة ونبذ العنف والاضطهاد بينهم، ثم تغير الأمر تدريجيا ومع نشوء الحضارات القديمة ولاسيما في الشرق الأدنى القديم فتحولت تلك القوانين العرفية إلى نصوص قانونية يعمل عليها الإنسان من اجل ضمان حقوقه وصونها من الاستغلال.

إن الله سبحانه وتعالى يوجه ويحرك تاريخ البشرية ويدبر حياتها على وجه الأرض كيفما يشاء، ومن حكمة تدبيره تعالى أن يدخر للمنعطفات الخطيرة رجالا يرجعون البشرية إلى جادة الصواب، وينقذونها من الهلاك والدمار، وساحة الطف هي إحدى المنعطفات التي لا نظير لها في التاريخ الإنساني فضلا عن الإسلامي، والحسين عليه السلام وأصحابه كانوا ذخيرة الله تعالى احتفظ بهم لإنقاذ دينه ورسالته من التحريف، وأمة نبيه صلى الله عليه وآله من الانحراف، فثورة عاشوراء التي أطلق شرارتها سبط الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ما هي إلا للدفاع عن حقوق الإنسان وكرامته وإبائه، فعاشوراء هي ثورة مبادئ وبطبيعتها ثورة للقيم والأخلاقيات التي تهدف إلى صون حقوق الإنسان وحمايته ضد من يحاول استغلاله أو استعباده وانتهاك حريته وانتزاع حقوقه الطبيعية التي أقرت له بموجب قوانين السماء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.(الإسراء:٧٠) وعلى الرغم من إن مصطلح الحقوق لم يرد مباشرة في يوم عاشوراء إلا أن المطلع على النصوص الواردة في خطب الإمام الحسين عليه السلام منذ خروجه من مكة لمواجهة يزيد بن معاوية وجلاوزته مرورا بخطبته عليه السلام في يوم عاشوراء يجدها نصوصاً تحوي العديد من المضامين والمفاهيم التي تدل على حقوق الإنسان وتحريم استعباده واستغلال حريته وضرورة الوقوف بوجه الطغاة وان كانوا حكاما إن كان الأمر يمسّ بحقوق الفرد ومصالحه وهذا ما سنحاول عرضه في هذا البحث.

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة تتلوهما قائمة بأهم المصادر المستخدمة في إعداد هذا البحث. تناولت في المبحث الأول: مفهوم الخطاب الحسيني وماهيته ويتضمن شرح ميسر لمعنى كلمة الخطاب وورودة في القرآن الكريم والروافد التي اعتمد عليها الإمام الحسين عليه السلام في خطاباته، أما المبحث الثاني: فدور الخطاب الحسيني في نشر ثقافة حقوق الإنسان وسوف أحاول في هذا المبحث إبراز جوانب من حقوق الإنسان الواردة في بعض خطب الإمام الحسين عليه السلام في أرض كربلاء و يوم عاشوراء.

المبحث الأول

مفهوم الخطاب الحسيني وماهيته

يتحلى الخطاب الحسيني بأرث ثقافي وبلاغي عظيم كون الامام الحسين عليه السلام سليل الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله، وهو افصح من نطق بلغة الضاد، وتربى عليه السلام في حجر الامام علي الذي تتلمذ على يد الرسول الاعظم ومن هذا الارث انطلق الامام الحسين لنجد البلاغة المتناهية في خطبه واقواله التي وجهها لخصومه في يوم الطف.

المطلب الأول:

مفهوم الخطاب الحسيني

الخطاب في اللغة من الفعل «خطب» الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك والخطبة: الكلام المخطوب به ويقال اختطب القوم فلانا إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم، والخطب: الأمر يقع وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة. (أبو الحسين١٣٩٩هـ: ص١٩٨)

والخطبة بضم الخاء اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب على المنبر، (ابن منظور، ١٤١٤، ج١، ص٣٦١) والخطاب: هو الكلمة الجامعة لهذه المادة، وهي التعبير الذي شاع الآن في الكتابات اللسانية عموماً. وهو عند ابن منظور(ابن منظور، ١٤١٤، ج١، ص٣٦١) مصدر للفعل خاطب، بمعنى مراجعة الكلام وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان والمخاطبة مفاعله من الخطاب. وهو عند أبي البقاء الكفوي (الحسيني، ص٤١٩) في الكليات: الكلام اللفظي أو النفسي الموجه نحو الغير للإفهام.

أما الخطاب اصطلاحا فعرف بأنه: كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها»(الطيار، ٢٠٠٥: ص ١٢). وقد عرفه الغربيون تعريفات عديدة ومنهم لالاند بقوله: إن الخطاب عملية فكرية جزئية متتابعة، وعلى نحو خاص هو تعبير عن الفكر وتطوير له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة»(أندريه، ٢٠٠١: ص٢٨٧). أما ميشال فوكو فيرى في كتابه «نظام الخطاب» أن الخطاب مصطلح لساني متميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها بشموله لكل إنتاج ذهنيّ، سواء أكان شعراً أم نثراً، منطوقاً أم مكتوباً، فردياً أو جماعياً، ذاتياً أو مؤسسياً...»(سبيلا، ١٩٧٠، ص٤).

يتضح لنا مما تقدم إن الخطاب قد تعددت وتنوعت تعريفاته والظاهر إن التعريف الاصطلاحي لايخرج عن المعنى اللغوي في عملية الإبلاغ والتوصيل فضلا عن تلمس الإقناع والإمتاع فهو في أصل اللغة توجيه الكلام نحو المخاطب بفتح الطاء ثم نقل إلى الكلام الموجه نحوه للإفهام اصطلاحا (الامدي، ص٩٥).

المطلب الثاني: الخطاب في القرآن الكريم

جاءت مادة (خطب) في عدة من مواضع من القرآن الكريم حيث وردت في اثني عشر موضعاً، تمثلت في المشتقات التالية: خاطبهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان:٦٣). تخاطبني: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (هود:٣٧)تخاطبني ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (المؤمنون: ٢٧)وتلاحظ أن هذه الآية تكررت بنصها مرتين في سورتي هود والمؤمنون، وكانت خطاباً لسيدنا نوح﵇ بشأن القوم الذين ظلموا من قومه، ولم يستمعوا إلى دعوة نبي الله لهم بالإسلام.

خطبك: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ (طه: ٩٥)

خطبكم: - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ (الحجر: ٥٧)

خطبكم: - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (الذاريات: ٣١)وهذه الآية أيضاً تكررت مرتين في سورتي الحجر والذاريات، وهي على لسان سيدنا إبراهيم﵇ في مخاطبة الملائكة الذين تمثلوا له في صورة بشر من الناس.

خطبكما:- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص: ٢٣).خطبكن:﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (يوسف:٥١)

الخطاب:- ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص:٢٠)

- الخطاب: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (ص:٢٣)

- خطاباً: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (النبأ: ٣٧)

- خطبة: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة: ٢٣٥)

المطلب الثالث: مصادر الخطاب الحسيني

كانت الخطابة وما زالت أسمى الفنون التي صقلت ونمت عبر مراحل تدريجية في حياة العربي بشكل خاص حتى مرت بمراحل من الصقل والتهذيب تخطت صيحاتها صيحات الشعر فأصبحت وسيلة إعلامية للتعبير عن وجوه الحياة المختلفة. منذ أن انزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم حتى تزينت الخطابة العربية بزينتها الجديدة فازدادت رونقا وبلاغة وارتقاء حيث أحدث الإسلام انقلابا جذريا في الحياة ونهضة أدبية وجهها القرآن الكريم وقوامها أحاديث الرسول محمدﷺ وكتبه وخطبه فاتسعت فضاءات الخطيب الإعلامية وتنوعت الدواعي والدوافع الخطابية في عهد النبوة فأصبحت الخطابة صوتا فعالا في الدعوة إلى الإسلام ووسيلة من وسائل الإعلان لتبليغ الناس امرأ من الأمور أو مفاتحتهم بما يستجد من أحداث. (هنون، ٢٠١٢: ص١٥) وأخذت الخطابة تتقدم خطوات ناجحة تتسع يوما بعد أخر حتى بعد وفاة النبي الأكرم محمدﷺ وتسلم الخلفاء مقاليد الأمور ولاسيما في خلافة الإمام علي بن أبي طالب﵇ الذي أثرى الأدب العربي بروائع الخطب التي تستمد معينها من معين

القرآن الكريم والحديث النبوي ومانهج البلاغة إلا اليسير من بلاغته المتدفقة. وخطاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء إلا ثمرة الإسلام ونتاج النبي الكريم صلى الله عليه وآله وقد ازدهرت الخطابة فيما بعد ولاسيما في العصر الأموي بشكل منقطع النظير حتى وصف هادي سعدون هنون (هنون، ص١٥-١٦) هذا العصر بالذهبي للخطابة العربية إذ هيأ الإسلام الأرضية المناسبة لتطورها واكتمل نماؤها وازدهارها وغدت فنا أدبيا راقيا وندا قويا لسائر الفنون الأدبية. وخلال هذه المراحل من التاريخ مر الخطاب بشكل عام بالعديد من المراحل التي صقل فيها حتى عدت هذه المراحل بمنزلة أساسيات أو روافد اتبعت من قبل الغالبية العظمى من الخطباء ولما كان الإمام الحسين عليه السلام خلال نهضته المباركة قد ألقى العديد من الخطب طيلة مسيرة قدومه من مكة إلى كربلاء، فقد استقى الكثير من هذه الروافد في خطاباته، وفيما يلي أهم الروافد التي اعتمد عليها الإمام الحسين عليه السلام في خطاباته المباركة وسوف أركز هنا على الجانب الديني حيث أعتمد الإمام الحسين عليه السلام في خطبه القرآن الكريم، ولا يخفى على احد إن القرآن الكريم كتاب الله الذي انزله على رسوله وتحدى به العرب فأعجزهم على الرغم من كونهم أرباب البلاغة وفرسان الفصاحة، وقد بهرهم ما سمعوا من أسلوب القرآن الكريم وطرق نظمه فأصبح معجزة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، والإمام الحسين عليه السلام مثل غيره من الخطباء الذين يدافعون عن قضية امة، ومصير عقيدة، ويقفون في وجه الظلم والاستبداد، يريد أن يكون لخطابه اثر في نفوس القوم الذين يوجه إليهم خطابه لذا نجده يلجا كثيرا إلى النص القرآني فيوظفه في أكثر من صورة فهو أحيانا ينثر الألفاظ القرآنية والتراكيب في عباراته التي يصوغ بها خطابه فتدخل هذه الألفاظ والتراكيب بنية الخطاب لتزيده قوة وثباتا وتأثيرا في نفوس السامعين. (الياسري، ٢٠٠٩: ص٢٩) فالقرآن الكريم نص أدبي معجز تحدى به الله سبحانه وتعالى العقل البشري بكل مستوياته الثقافية(هنون، ص٢٧)، قال تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت: ٥٣) ويستطيع القارئ أن يلتمس بيسر اثر الألفاظ القرآنية في بنية الخطاب الحسيني فحينما عزم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج من مكة إلى العراق وجه خطابا للمسلمين بناه على الحقيقة القرآنية في حتمية الموت وزوال الدنيا وقد ضمن خطابه طائفة من أسماء الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم» آدم- يوسف- يعقوب عليهم السلام» يقول: خط الموت على ولد أدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه» فالملاحظ لما ورد في النص يجد التأثر الواضح للإمام الحسين عليه السلام بأسلوب القرآن الكريم ويمكن القول إن ما ورد في هذا الخطاب بني على فكرة قرآنية وعبر عنها بألفاظ قرآنية (الياسري، ص٣٠).

أما الرافد الثاني للخطاب الحسيني فهو الحديث النبوي الشريف: فالحديث النبوي نص ديني في الذروة

من البيان لما يتضمنه من دقة التعبير وجودة السبك وروعة التصوير، فلا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وتأثيرا إذ لم يسمع الناس بكلام قط اعم نفعا، ولا أقصر لفظا، ولا اعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامهﷺ كثيراً (هنون، ص٤٤).

فالحديث النبوي الشريف هو كلام الرسول محمدﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحي، ويعد الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي ويأتي بالدرجة الثانية من حيث الفصاحة بعد القرآن الكريم (الياسري، ص٣٣).

إذ نلاحظ في خطب الإمام الحسينعليه السلام أنه قد اقتبس من أحاديث الرسول محمدﷺ بنصها أو بمعناها وأدخلها في بنية خطابه لان السنة تمثل جانبا من جوانب التشريع الإسلامي وما ورد منها في كلام الرسول يعد التزامه واجبا شرعيا على المسلم وقد أشار الياسري إلى هذ بقوله: لا يرد إلا في المواقف التي يتطلب فيها إظهار الحجة والبرهان والقصدية في ظلم حق أهل البيتعليهم السلام وإنكاره واضحاً عند الأمويين»، ونلاحظ هذا الاقتباس واضحا في خطبة الإمام الحسينعليه السلام أمام القوم في كربلاء: أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله» فالواضح من نص الحديث إن الإمام الحسين أراد من الاحتجاج به إثبات حقيقة لا تقبل الشك هي مسؤوليته تجاه الأمة في ظل حكم جائر لأن قول الرسولﷺ يسوغ الثورة ضد الحاكم الظالم الفاسق الذي تعدى حدود الله وحكم بغير ما انزل الله، فالإمام الحسينعليه السلام وارث النبي وهو صاحب الحق في تولي قيادة الأمة وهو أول المعنيين بهذا الحديث. (الياسري، ص٣٤-٣٥).

المبحث الثاني:

اثر الخطاب الحسيني في نشر ثقافة حقوقالإنسان

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات الأخرى ووهب له العديد من الحقوق ومنها حق الحياة وحق العيش بكرامة قال تعالى:﴿(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾،(الإسراء:٧٠) والإمام الحسين عليه السلام خير من دعا إلى حقوق الإنسان وصون كرامته وعزته بعد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إذ ركز الإمام الحسين عليه السلام على ضرورة الحفاظ على كرامة الإنسان وحقوقه من أن يتم استغلالها أو هدرها وحث على العيش بكرامة ورفض العبودية والاستغلال بأي شكل من الأشكال، وخير دليل على كلامنا هذا ثورته الإصلاحية التي قادها وما تركته لنا من أثار في مستقبل الأمة الإسلامية من بعده عليه السلام فهو في خطبته ردد قائلا: تَبّاً لَكُمْ أَيَّتُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحاً حِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَالِهِينَ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُوجِفِينَ؛ سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ! وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَاراً اقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ ! فَأَصْبَحْتُمْ أَلْباً لِاعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلاَ أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ !فَهَلاَّ ـ لَكُمُ الْوَيْلاَتُ ـ تَرَكْتُمُونَا؛ وَالسَّيْفُ مَشِيمٌ، وَالجَأْشُ طَامِنٌ، وَالرَّأْيُ لَمَّا يُسْتَحْصَفْ؟ ! وَلكِنْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْهَا كَطَيْرَةِ الدَّبَى ! وَتَدَاعَيْتُمْ إِلَيْهَا كَتَهَافُتِ الْفَرَاشِ !فَسُحْقاً لَكُمْ يَا عَبِيدَ الأُمَّةِ ! وَشُذَّاذَ الأَحْزَابِ ! وَنَبَذَةَ الْكِتَابِ! وَمُحَرِّفِي الْكَلِمِ! وعُصْبَةَ الآثَامِ! وَنَفَثَةَ الشَّيْطَانِ! وَمُطْفِئِي السُّنَنِ! أَهَـؤُلاَءِ تَعْضُدُونَ؟! وَعَنَّا تَتَخَاذَلُونَ؟!أَجَلْ وَاللهِ غَدْرٌ فِيكُمْ قَدِيمٌ ! وَشَجَتْ إِلَيْهِ أُصُولُكُمْ! وَتَأَزَّرَتْ عَلَيْهِ فُرُوعُكُمْ ! فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ ثَمَرٍ شَجاً لِلنَّاظِرِ! وَأُكْلَةً لِلْغَاصِبِ !أَلاَ وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ؛ وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ !يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طَاعَةَ اللِئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ .أَلاَ وَإِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ الأُسْرَةِ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ، وَخَذْلَةِ النَّاصِرِ،(القرشي، ١٩٧٤: ج٣، ص١٩٢) فالملاحظ لكلام الإمام الحسين عليه السلام هذا يتضح له انه عليه السلام يرفض العيش خاضعا للطغاة من دون التمتع بالكرامة الإنسانية التي وهبها الله تعالى للإنسان وقرر اتخاذ طريق الشهادة من اجل الحفاظ على الكرامة الإنسانية وإصلاح حال الأمة،(الشيخ اليوسف، ٢٠١٥: ص١٣) فالإمام الحسين عليه السلام يقدم لنا هنا دروسا للأجيال في التضحية والفداء لا نظير لها في الحياة ولم يخفي عنهم نتيجة حالهم بعد قتله وصرح لهم إن الله تعالى سيسلط عليهم المختار الثقفي يقطع جذورهم ويسقيهم كاس الصبر المر ويذلهم ويفزعهم ولا يجعل لهم قرار وفعلا تحقق لهم ما اخبرهم به عليه السلام فخرج المختار يطالب بدم الحسين عليه السلام وعلى اثر ذلك سقطت دولة الجور والظلم وانهار ما بناه معاوية وأراده أن يكون إرثا لآل أبي سفيان (أبو سعيدة، ١٩٩٨، ص٣١٦).

وعندما خاطبهم الامام الحسين عليه السلام بقوله : وَيْحَكُمْ

يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْرَاباً. فَنَادَاهُ شِمْرٌ فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ؟ قَالَ: أَقُولُ أَنَا الَّذِي أُقَاتِلُكُمْ وَتُقَاتِلُونِّي والنِّسَاءُ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ فَامْنَعُوا عُتَاتَكُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِحَرَمِي مَا دُمْتُ حَيّاً (الأمين، ص٦٠٩) فالواضح هنا انه﵇ قد ركز على الحرية، فالإنسان الحر يجب أن يعيش حرا في الدنيا وان لم يكن له دين لان الحرية بنفسها مطلوبة ويشعر الإنسان بها بقيمته الإنسانية. (اليوسف، ص١٥) فضلا عما نلتمسه من خطبه﵇ وما تضمنته من حقوق ومبادئ نجد في مواقفه﵇ في واقعة كربلاء الكثير من القيم والمواقف التي تحث على حقوق الإنسان وصونها وهو ليس بالغريب عن الإمام الحسين﵇ فهو شبيه جده الرسول الأعظم محمدﷺ والذي يقول عنه الباري عز وجل: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾، وشبيه أبوه الإمام علي بن أبي طالب﵇ والذي قال في حقه رسول اللهﷺ: ما من نبي إلا وله نظير في أمته وعلي نظيري(الطبري، ج٣، ص١٢٠)، وبهذا فالإمام الحسين﵇ يستقي مثله العليا منهما، فهو قد تأدب بآداب النبوة، وحمل روح أخلاق جده المصطفى في الحرب والسلم معا، وخير دليل على هذا الأمر ما نلتمسه من لقائه مع الحر وجيشه في الصحراء، فعندما قدم الحر بن يزيد الرياحي بألف فارس قد انهكهم العطش في حر الظهيرة قبل صلاة الظهر بوقت قصير. ولما التقى الحسين﵇ وأصحابه مع الحر بن يزيد التميمي وقف هو وخيله مقابل الحسين﵇، فقال زهير بن القين للأمام: يا بن رسول الله أن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، لكن الإمام الحسين﵇ رفض. وقال﵇ لفتيانه: اسقوا القوم واروهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفا﵇ فقام فتيانه فرشفوا الخيل ترشيفا، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملؤون القصاع و الأتوار والطِّساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبَّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها. ولما حضر وقت الصلاة قال الامام الحسين﵇ للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ فقال الحر: لا بل تصلّي ونصلّي بصلاتك. (ابو مخنف، ١٩٨٧، ص٨٢-٨٣) وما يلاحظ في هذه الحادثة أنها شبيه بموقف أمير المؤمنين﵇ في معركة صفين، ولكن الاختلاف هناك اختلاف في المكان والأشخاص. فالأمام علي﵇ هو الذي ملك المشرعة يوم صفين فسقى المسلمين بعد أنْ جهدهم العطش وعندما كانت بيد جيش معاوية منعوا الماء عن جيش أمير المؤمنين﵇. وكما هو معروف إن الماء بند من بنود حقوق الإنسان في الإسلام في السلم والحرب معا وقد أرسى دعائم هذا البند الإمام علي ثم الإمام الحسين﵇ ولكن تظهر المعادن الإسلامية الحقيقية لدى المسلم في المواقف الحساسة ومن تلك المواقف الحرب (من اخلاقيات النهضة الحسينية في الحرب، مقالة منشورة في وكالة (نون الخبرية) والذي نستنتجه من هذا الموقف هو كرم الإمام الحسين﵇ إذ

انه وكما واضح من قوله: اسقوا القوم وارووهم ورشفوا الخيل ترشيفا» بانه لم يكتفي بسقياهم بل اشبعهم يعني: أعطاهم حاجتهم ورفع الاضطرار عنهم وزادهم حتى رواهم وأشبعهم وسقى الخيل ترشيفا لأنه يعلم إن الخيل أكثر تحملا من الإنسان لم تصل حالة الاضطرار ومن ذلك سقاها فهذا كرم ما فوقه كرم والمفروض إن يكون هذا مضرب مثل وعليه نجد الحسين عليه السلام طبق كل القيم والمثل العليا مراعيا حقوق الإنسان والحيوان معاً(شبيب، ٢٠١٣، ص٢٩٠).

فضلا عن الأسلوب الحواري الذي اتبعه الإمام الحسين عليه السلام مع خصومه فعلى الرغم من شدة عداءهم له ومحاربتهم له إلا انه عليه السلام حتى اللحظة الأخيرة يحاول أن يحاورهم ويقنعهم عن العدول عن عزمهم بالتي هي أحسن ويتضح لنا هذا الأمر على نحو جلي في خطبه عليه السلام في جيش يزيد ومنها مخاطبتهم بقوله عليه السلام:»**فانسبوني** فأُنظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فأُنظروا هل يحلُّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله ، وابن وصيّه وابن عمّه وأوّل المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟! أوَ ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟! أوَ ليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي؟!...» (الطبري، ١٣٨٧ه، ج٥، ص ٤٢٤).

فهذا يدل على إن الإمام الحسين عليه السلام كان حتى اللحظة الأخيرة يدعوهم عن التراجع عما ينون القيام به وفي هذا صون لأرواحهم ودعوة إلى إصلاحهم والعودة بهم إلى طريق الصواب الذي أضلوه.

وبهذا يتبين لنا إن حقوق الإنسان لم تكن بالشيء المستحدث في مجتمعاتنا الحالية وإنما وجدت منذ فجر التاريخ ومنذ نشوء الحضارات القديمة في الشرق فقد وجدت حماية حقوق الإنسان من ضمن التشريعات التي وجدت في تاريخ البشرية وتتجلى ملامح هذه التشريعات في إحقاق الحق وتطبيق العدالة وحماية الفرد ضد أي اعتداء أو تجاوز على كرامته وإنسانيته، ويعد ديننا الإسلام من أكثر الأديان التي اهتمت بالإنسان وبحقه في الحياة والمساواة في الحقوق بما في ذلك حقوق النساء والأولاد وعدم المساس بها. وما تم ذكره هنا هو القليل جداً مما جاء في خطب الإمام الحسين عليه السلام عن حقوق الإنسان وصونها والحفاظ عليها ابتداء بخروجه من مكة حتى وصوله إلى كربلاء ووقوع واقعة الطف واستشهاده عليه السلام في يوم عاشوراء لسنة ٦١هـ / ٦٨١م..

الخاتمة

نستنتج من بحثنا هذا بعض الأمور ومنها

إن الخطاب بمفهومه العام حقيقة إنسانية فطرية، فالإنسان في هذه الأرض يمارس حياته الواقعية بكل ما تشمله من أنماط السلوك الإنساني، وما يعبر عن هذا السلوك من أقوال وأفعال، يتبادل الناس تحليلها وتفسيرها، ويتداولونها في مسارات حياتهم المتطورة المستمرة.إن الإنسان يولد حرا ويموت حرا وهذا ما أكدته جميع الديانات السماوية وان ما يكتسبه الإنسان من حقوق إنما قد ولدت معه بالفطرة ومن ثمَّ فهي حقوق طبيعية وهبها الله تعالى له وليس من البشر.

والحقوق الإنسانية ما هي الا مفاهيم واضحة المعالم عرفها الإنسان منذ القدم وبقيت شاخصة إلى مجتمعاتنا الحالية وذلك من خلال منظومة من التشريعات والقوانين التي وضعت للحفاظ على حياة الإنسان في جوانبها المختلفة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية .

وكان الإمام الحسين عليه السلام وما يزال إلى يومنا هذا هو المثل الأعلى في صون حقوق الإنسان والدفاع عنها وحمايتها ويتمثل لنا هذا وعلى نحو جلي حتى في سلوكه مع أعدائه في يوم عاشوراء وكيف إنه قد وجه إليهم الكثير من الخطب التي يدعوهم فيها إلى التراجع عما يزعمون القيام بها فضلا عن مواقفه تجاههم بالسماح لهم بالحصول على الماء لهم ولخيولهم كما أوردت.

المصادر

القرآن الكريم.

اولا- المصادر الاولية:

١. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت:٧١١ه)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤.

٢. ابو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم (ت: ٧٧٤هـ)، مقتل الامام الحسين عليه السلام ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء المشتهر بـ مقتل ابي مخنف، ط٢، مكتبة الالفين، الكويت،١٩٨٧.

٣. الامدي، ابو الحسن علي بن ابي علي بن محمد بن سالم، الاحكام في اصول الاحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الاسلامي، بيروت، بلا.ت.

٤. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي(ت:١٠٩٤ه)، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، بلا.ت.

٥. الطبري، محمد بن جرير(ت:٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٦. محب الدين الطبري، ابو العباس احمد بن عبد الله (ت: ٦٩٤هـ)، الرياض النضرة في مناقب العشرة،ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.

ثانيا: المراجع الثانوية

١. أبو سعيدة، السيد حسين، بلاغة الإمام الحسين بن

علي عليه السلام دراسة وتحليل، مركز العترة للدراسات والبحوث، بيروت- لبنان، ١٩٩٨.

٢.الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، بلا.ت.

٣.من اخلاقيات النهضة الحسينية في الحرب، وكالة نون مقالة منشورة

٤.هنون، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، مكتبة الروضة الحيدرية، ضمن سلسلة النجف عاصمة الثقافة، النجف الاشرف،٢٠١٢.

٥.الياسري، عبد الكاظم محسن، الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠٠٩.

٦.لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل احمد خليل، تعهده واشرف عليه حصرا: احمد عويدات، ط٢، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ٢٠٠١.

٧.الطيار، أحمد عبد الله ،»تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد»، حولية كلية أصول الدين القاهرة، ٢٠٠٥، العدد ٢٢، المجلد الثالث.

٨.فوكو، ميشيل، عصر الخطاب، ترجمة:د. محمد سبيلا، التنوير، بلام، بلا.ت.

٩.القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وتحليل، الناشر: مدرسة العلمية الايرواني، مطبعة باقري، قم المقدسة، ١٩٧٤.

١٠.شبيب، بلاسم عزيز، القيم الاسلامية والانسانية في نهضة الامام الحسين عليه السلام، مجلة دراسات اسلامية معاصرة، العدد الثامن، السنو الرابعة، ٢٠١٣.

١١.الشيخ اليوسف، عبد الله احمد، الإمام الحسين عليه السلام وتأصيل حقوق الإنسان، منشورات أفكار، بيروت- لبنان، ٢٠١٥.

١٢.ابن فارس، أبو الحسين احمد(ت:٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٩.